مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الثاني(02) / العدد: الثاني(02) / نوفمبر 2020/ ص ص: 130-141

مصادر الصورة الشعرية في شعر الأطفال
ديوان "أناشيد العلم والأمل" لناصر معماش أنموذجا

Sources of poetic image in children's poetry
The collection of "Songs of Knowledge and Hope" by Nacer Maamache is a model

لعياضي أحمد
Layadi ahmed
جامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية ـ الجزائر ـ
البريد الإلكتروني : ahmed.layadi426@gmail.com
رقم الهاتف: 0775139033

تاريخ الإرسال:30-08-2020	تاريخ القبول:10-09-2020	تاريخ النشر 08-11-2020

ملخص البحث

يقوم العمل الأدبي على مجموعة من العناصر التي تتألف فيما بينها لتشكل في النهاية عملا أدبيا متميزا ومتكاملا، والصورة الشعرية أحد هذه العناصر التي يوليها المبدع اهتماما وعناية بالغة على اعتبار أنها أساس البناء الأدبي والشعري. فهي أداة الشاعر لتصوير ما يدور حوله والتعبير عن أحاسيسه وتجاربه ومواقفه من الحياة إلى الآخرين، وأداة يوظفها لتأثير في متلقيه وشد انتباههم. وبما أن أدب الأطفال هو جزء من أدب بعمومه، غير أنه يعتني بطبقة متميّزة من القراء هم الأطفال، كان لزاما على الصور الشعرية هي الأخرى أن تكون مختلفة ومتميزة مراعيةً خصائصهم ومراحل نموهم وقدراتهم الإستعابية، وتكون مصادرها مستوحاة من عالمهم قريبة لمستواهم ولتفكيرهم. بغيّة تكوين شخصيتهم وتقديم الخبرات والمعارف التي تساعدهم على صقل مواهبهم، وكذلك تحريك خيالهم والدفع بهم إلى التأمل والخلق والإبداع.

الكلمات المفتاحية : أدب أطفال، صورة شعرية، مصادر صورة، معرفة، متعة.

Abstract:

The literary work is based on a set of elements that are composed between them to form in the end a distinct and integrated literary work, and the poetic image is one of these elements that the creator pays great attention and care to as it is the basis of literary and poetic construction. It is a tool for the poet to depict what is going on around him and express his feelings, experiences and attitudes from life to others, and a tool he uses to influence his recipients and draw their attention. Since children's literature is part of literature in general, but it is concerned with a distinct class of readers, namely children, poetic images also had to be different and distinct, taking into account their characteristics, stages of development and absorptive capabilities, and their sources inspired by their world close to their level and thinking. With the aim of forming their personality and providing experiences and knowledge that help them to refine their talents, as well as stir their imaginations and push them to contemplation, creation and creativity.

Kays words : Children's literature, poetic image, image sources, knowledge, Enjoyment.

مقدمة:

تعتبر الصورة الشعرية الوسيلة الفنية الجوهرية التي يلجأ إليها الشاعر للتعبير عن تجربته ورؤاه، وعمّا يجول في نفسه من أحاسيس ومشاعر خفية. وحتى يضمن الشاعر صفة الأدبية الخالصة لعمله، فإنّه يستعين بكل الأدوات التعبيرية والصورة الشعرية بأنواعها المختلفة، ويستثمر في طاقتها حتى يُكسب نصه الحياة، وبقدر نجاح الشاعر في إبداع وتركيب صورته، بقدر ما يتنامى عمله ويكتمل بناؤه الشعري؛ لذلك اهتم الشعراء بصورهم منذ القديم وبرعوا في تشكيلها، فهي "الجوهر الثابت والدائم في الشعر"[(1)]، و"الشعر لا يكون شعرا إلا بالصورة"[(2)]، وشعر الأطفال هو جزء من الشعر بعمومه، يُعنى بالصورة الشعرية، التي تحمل صفات وخصائص متفردة؛ كونها موجهة لطبقة متميّزة من القراء هم الأطفال، فكان لزاما على الكاتب في هذا الجنس أن يكون على دراية ومعرفة بالقاموس اللغوي الخاص بهم في كل مرحلة من مراحل نموهم، وأن يستلهم صوره الشعرية من خلال الولوج إلى عوالمهم، وتقديم المعارف والخبرات لهم؛ بغرض تكوين شخصياتهم ومساعدتهم على صقل مواهبهم، وكذلك تحريك خيالهم والدفع بهم إلى التأمل والخلق والإبداع، ومن خلال هذا البحث سنحاول على قدر جهدنا تتبع الصورة الشعرية في شعر الأطفال والكشف عن خصائصها، والوقوف على أهم المصادر التي استسقى منها ناصر معماش صوره في ديوانه **"أناشيد العلم والأمل"**

مصادر الصورة الشعرية في شعر ناصر معماش:

1- المصدر التعليمي:

تحتوي الأشكال الأدبية مضمونا تعليميا يهدف إلى إعطاء الأطفال بعض الحقائق ولون من ألوان المعرفة الجديدة، فالشعر التعليمي "ليس المقصود به تقرير حقائق أو حكم في أبيات وإلا أصبح نظم لا حياة فيه، وإنما المقصود به تصوير هذه الحقائق وتحويلها إلى لوحات (صور شعرية) نابضة بالحياة ... والشعر دائما تصوير بالقلم ولكنه إن لم يقدم لنا معرفة جديدة فلا يصلح أن نسميه تعليميا"[3].

وقد اهتم الشعراء الجزائريون ومن بينهم شاعرنا ناصر معماش بالمدرسة فتحدثوا عنها وعن ودورها في تنشئة الأطفال وتعليمهم وتربيتهم. فسعوا إلى تدعيم علاقة الأطفال بالمدرسة وتأكيد ارتباطهم بها باعتبارها بيتهم الثاني فالمدرسة "بما فيها من إدارة ومدرسين ووسائل الإعلام المختلفة ... لها أثر كبير على الناشئة عامة والطفل خاصة"[4].

فكانت المدرسة مصدر إلهام لشاعرنا في رسم وتكوين صوره الشعرية، ومن خلال ما نظم شاعرنا في هذا الموضوع حرص على تدعيم الجوانب التربوية والتعليمية المتصلة بالمدرسة كطاعة المعلم وحبه واحترام الزملاء، وحب اللغة العربية وضرورة تعلمها قراءة وكتابة، وغيرها من المواضيع التي عنون بها شاعرنا بعض قصائد في ديوانه والتي صبها في صور شعرية يهدف من خلالها إلى غرس بعض القيم النبيلة في نفوس الأطفال كإبراز مكانة وأهمية ودور المدرسة، باعتبارها مركز إشعاع في المجتمع وبيان مكانة المعلم ودور العلم في مجالات الحياة . ففي قصيدة "معلمي أحبه" يقول: **معلي أحبـــه لأنه يحبنـــــي**

وأقتـدي بقوله وفعله لأننـــــي

أراه دوما ساهرا ينصحني ، يرشدني[5]

في هذه الأبيات يتحدث شاعرنا عن دور المعلم ومكانته، وما يبذله في سبيل تنشئة الأطفال وتربيتهم كما رغّب في طاعته واحترامه. ومما زاد هذا النص جمالا وقربا من الطفل هو إجراء الخطاب على لسانه وانطلاقا من عواطفه وإحساساته .

يقول شاعرنا في نفس القصيدة "معلمي أحبه": **معلي أحبـــه كأنه رســـول**
إلى الهدى يدلني يفعل ما يقـــول
معلمي مثل أبي يحرسني ، يهواني[6]

لقد استطاع شاعرنا من خلال هذه الصور الشعرية الموظفة في نصه أن يعبر عن الأحاسيس والمشاعر وقوة العلاقة والصلة التي تربط الطفل بمعلمه، معبرا له عن حبه ومدى ثقته بما يقدمه له من علوم مفيدة وتربية حسنة، فمرة يشبهه بالرسول في قيمة الرسالة التي يؤديها ويقدمها ومرة أخرى يشبهه بالأب له في المدرسة من ناحية العطف والحنان والرعاية .

كما حاول شاعرنا الاقتراب من الطفل المتلقي فتناول الموضوعات المدرسية من زاوية الطفل (التلميذ) نفسه وانطلاقا من رؤيته، فلا يتوقف عند حدود المدرسة أو المعلم فقط بل يتعداها إلى وصف الأشياء كالمئزر مثلا.

يقول في قصيدة "مئزري العجيب" متحدثا بلسان الطفل: **في مئزري سر عجيب ألبسه كل صبـــاح**
أحسني مثل الطبـيب يحتوي كل الجـراح
أغدو به كالعندليـــب أشدو ، أغنّي للصّلاح
يا مئزري أنت الحبيب وأنت مثلي في الكفاح[7]

فالشاعر من خلال هذا اللباس (المئزر) الذي يرتديه الطفل رسم صورا شعرية جميلة، استطاع من خلالها أن يبيّن مدى حبه للمئزر وشدة تعلقه به، والأماني والأحلام المعلقة عليه فهو يحمل العديد من الدلالات للطفل.

كما دعا ناصر معماش في قصيدته "لغتي" إلى الحفاظ والتمسك باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم مبرزا قيمتها وأهميتها وجمالها، بصور شعرية بسيطة قريبة من المتلقي الصغير يقول: **لغتي أمانـــي تزهو على لساني**
حروفها لطيفة تجري على اللسان
خطوطها جميلة كزهرة الريحـــان
أحبها لأنـــها من آية القـــرآن
كأنني من دونها سقف بلا جـدران[8]

فشاعرنا يدعو إلى ضرورة التمسك باللغة العربية وتعلمها والإقبال عليها مبرزا جمالها ومشيدا بسهولتها وبيانها محاولا تحبيبها للأطفال. ومن خلال هذه القصائد ("معلمي أحبه"،"الطفل الشاعر"،"واحد، اثنان ... "، "لغتي"،"مئزري العجيب") حاول شاعرنا تقديم بعض القيم التعليمية وجعلها في متناول المستويات الفكرية للأطفال، بأسلوب بسيط وواضح، وصور شعرية جميلة يهدف من خلالها إلى إقناع الطفل بحب المدرسة والمعلم وحب اللغة العربية قراءة وكتابة، مبينا له ما في هذه العناصر من فضل في حياته ولوطنه، فكان المحيط التعليمي أهم المصادر التي استمد منها شاعرنا صوره الشعرية.

2- المصدر الطبيعي:

إن الطبيعة هي "جزء من الكون غير عاقل خاضع لنواميس محددة و في مقابل الانسان الحر الارادة "[9].أما من الناحية الجمالية فهي "قسم من العالم قادر على أن يحرك في الإنسان إحساسه الفني"[10]. فلطبيعة نصيب وافر في تحريك إحساسات الشاعر وفي تشكيل خياله وتكوين عناصره الفنية، فهي تمده بالكثير من الصور الشعرية الرائعة وتساعده على تفجير عبقريته الشعرية بين أحضانها وسحرها ورونقها بما تشمل عليه من أنهار وجبال وأزهار وهضاب وسهول وغابات وحيوانات وغيرها . فاتخذ الشاعر من عناصر الطبيعة الحسية منها والجامدة مادة لموضوعاته ومصدرا لتشكيل صوره الشعرية. واستطاع أن يشيع الحركة في المعاني التي يستمدها من هذا العالم (عالم الطبيعة) ويبثّ في عناصرها الحياة .

وأدب الأطفال كأدب الكبار لم يخل من شعراء تطرقوا في شعرهم الموجه للأطفال إلى وصف الطبيعة ومشاهدها المتنوعة، والمتتبع للنص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر يرى أن موضوعات شعر الطبيعة قد تعددت وتنوعت "فلم يخل هذا الشعر من وصف الفصول المختلفة، والطبيعة المتقلبة والرياض الجميلة وعالم الحيوان"[11].وهذا ما نلحظه في قصائد شاعرنا ناصر معماش فقد نظم عددا من القصائد ذات البعد الطبيعي الجمالي وبخاصة أنه ابن الجزائر، ترعرع في أحضانها وفي ظل طبيعتها الساحرة فطرب لنغم جداولها وطيب نسائمها فأخرج الكوامن النفسية وذكريات الطفولة في صور شعرية صبها في وعاء شعري طفولي رائع. يقول في قصيدته "وطني لن أرحل عنك": **صحراؤه آه؟ تعجبني وتلاله مأوى الخيراتِ**

ومياهه أعذب لو تدري وهواؤه محيي اللذاتِ

وطني يترعرع في صدري زهرا يتفتح من كبدِي[12]

فالشاعر يتغنى ويتغزل بجمال الجزائر وبما حباها الله من طبيعة ومناظر جميلة، فهي موطن الحسن والجمال، وحيثما اتجهت ستجد أماكن الجمال متجسدة في ربوعها، فمن صحراء شاسعة وجبال شاهقة وسهول ممتدة وجداول رقراقة وهواء عليل يبعث اللذات في النفوس. أما في قصيدة "العلم و الوطن" يقول: **أريد الجزائر مثل الزهور تفوح برائحة الكوثرِ**

تسود الأخوة فيها و تحيا العلوم الغزيرة كالأنهرِ[13]

شاعرنا وعلى لسان الطفل يحلم بغد أفضل للجزائر، تكون فيه مثل الزهرة الفواحة الرائحة تسود فيها الأخوة بين شعبها وتكون منبعا ومهدا للعلوم والمعارف. أما في قصيدة "زهرة الربيع" يقول: **أنا زهرة الربيع أسمّى ياسمينْ**

أنا زهرة الربيع جميلة أنــا

أنا زهرة الربيع وعطري كوثر[14]

وبهذا استطاع الشاعر أن يجعل الطفل يرى الطبيعة بمنظار آخر، يتوحد فيه الخيال والحركة، ويبثّ الحياة في كل شيء يحيط به في الطبيعة . أما عالم الحيوان فنجده هو الآخر قد احتل مساحة واسعة في أدب الأطفال بصفة عامة وفي شعر ناصر معماش بصفة خاصة، مقتبسا من هذا العالم (الحيوانات) المحبب للأطفال صوره الشعرية. فالطفل ميال بطبيعته إليها، يحب ملاعبتها، وله شغف كبير للاستماع وقراءة ومشاهدة قصصها، ولا سيما تلك الحيوانات التي تعيش مع الانسان.

يقول شاعرنا في قصيدة "علم بلادي" على لسان الطفل: **علم بلادي رمز الثورة**

ثورة شعب لم يتقهقر

رائع مثل الطير تسامى[15]

فالشاعر محب لعلم بلاده، مفتخرا به فهو رمز الثورة، وقد شبهه بالطير الذي يحب التحليق عاليا على قمم الجبال، فجاء هذا التشبيه في صورة شعرية جميلة . أما في قصيدة "الأطفال الأذكياء" يقول: **أحيانا نبدو كالكبار وحينا نشدو كالطيور**[16]

ويقول في قصيدة "مئزري العجيب": **أغدو به كالعندليبْ أشدو ، أغنّي للصلاحْ**[17]

ويقول كذلك في قصيدة " محمد جمال الدرّة " : **أمرح في الجنان كبلبل طليقْ**

فحقّقوا الأماني لوطن الحمامْ[18]

من خلال البيت الأول أراد الشاعر على لسان الطفل الشهيد أن يعبر عن السعادة التي يعيشها في الجنان، فهو كالبلبل الحر الذي ينتقل من مكان الى آخر وهو يشدو دون قيود. أما في البيت الثاني فقد وظف طائر الحمام والذي يحمل عدة دلالات منها الأمن والسلام، وقد جاءت في هذا البيت للدلالة على فلسطين .

كما نجد شاعرنا قد تناول عالم الحشرات من خلال قصيدته "النملة النشيطة" التي نسجها في قالب حكائي، محاولا وصف هذه الحشرة الصغيرة معددا صفاتها مبرزا فوائدها. وقد مزج بين هذا العالم (عالم الحشرات) وعالم الطفولة من خلال تقديمه لهذه القصة الشعرية الشارحة والرامزة بصور شعرية مختلفة هادفة الى تقديم غايات تعليمية و تربوية يقول :

عن نملة جميلة تسعى على الكثبانِ

تجرّ قوت يومها كعامل غلبـــانِ

تسعى بلا تواكل تجد كالشجعـــانِ

تجود مثل محسن يعيش بإحســـانِ[19]

فالصور الشعرية الموظفة في هذه القصيدة المستوحاة من هذه الحشرة الصغيرة (النملة) هي صور قريبة من عالم الطفل وظفت قصد التعريف بهذه الحشرة واستخلاص العبرة من سلوكها.

يتبيّن لنا مما سبق أن العامل الطبيعي كان له أثر كبير في تشكل صور الشاعر، فكانت نتيجة امتزاج خيال الشاعر في تلك الطبيعة وتفاعله معها، فقد وجدها ملاذا آمنا وسرحا واسعا للخيال والإلهام، فكانت له مثيرا لمشاعره وأحاسيسه، فأخرج لقرائه الأطفال في صورا شعرية ابتدعها يصف فيها مختلف مظاهرها (الطبيعة)، فهي تعد إحدى العوالم القريبة والمحببة للطفل.

3- المصدر الوطني والتاريخي:

لقد حاول ناصر معماش من خلال بعض القصائد الوطنية المدونة بين دفتي ديوانه إلى تعميق الشعور بحب الوطن والانتماء إليه والتغني بجماله والرفع من شأنه والعمل على تقدمه وازدهاره، وحث الأطفال – رجال الغد – على حبه والذوبان فيه، فجاءت الصور الشعرية التي وظفها شاعرنا "لتؤكد حقيقة أن الوطن يسكننا ويعيش داخلنا ففيه نشأنا، وعلى أرضه درجنا، ومنحنا الهوية والعزة، ومن حقه علينا أن نصونه ونقدسه ونعمل ما في وسعنا على تقدمه وازدهاره "[20].

وقد استوحى ناصر معماش هذه الصور من مواضيع مختلفة ومتنوعة يمكن تصنيفها إلى أربعة محاور هي:

- محور الوطن عموما سواء كان الوطن الصغير أم الوطن الكبير من خلال تطرقه للقضية الفلسطينية.
- محور العلم الوطني.

- محور الثورة والتّغني بنوفمبر.
- محور الشخصيات (محمد جمال الدرة).

ومن شعر ناصر معماش الذي يصف فيه حبه للوطن الجزائر ويعتز بالانتماء إليه ويدعو للدفاع عنه والعمل على ازدهاره وتطويره في قصيدته "العلم والوطن " التي يقول فيها: **أحب الجزائر من كل قلبي وأهوى خريطتها الشاسعهْ**

أحب بلادي كثيرا كثيرا وأرفض كل يد طامعهْ

سأبذل جهدي لإسعادك لأنك مصدر كل البشائرْ

فبالعلم نبني صروح البلاد وبالجدّ ، بالحفظ ، بالدفترِ[21]

وكذلك في قصيدة "وطني لن أرحل عنك" يقول: **وطني يترعرع في صدري زهرا يتفتح من كبدي**

من أجله اجعل من عمري أملا أحياه إلى الأبد[22]

لقد وظف شاعرنا العديد من الصور الشعرية في قصائده ليشحن نفسية الطفل بطاقة من الغيرة على هذا الوطن وحبه والعمل من أجل تنميته وازدهاره. أما العلم الوطني فقد كانت له مكانة مرموقة في شعر "ناصر معماش" لما يحمله من معاني ودلالات في نفوس الشعب الجزائري كبارا وصغارا، فهو راية الوطن ورمز الأمة الجزائرية وسيادتها، ووفاء لذكريات الشعب البطولية وتجاوبا مع دماء الشهداء التي تجسمها هذه الراية. يقول في قصيدته "علم بلادي": **علم بلادي رمز الثورة ثورة شعب لم يتقهقر**

رائع مثل الطّير تسامى أروع من رائحة العنبر

علم بلادي راية عـزّ حين يرفرف يكبر أكثر

ما أجمله؟ ما أروعه ؟ هو بين الأعلام الأكبر[23]

كما تغنى شاعرنا بألوان العلم الوطني المختلفة، فهذه الألوان من أبيض وأخضر وأحمر ليست مجرد ألوان، إنما هي مشحونة برموز ودلالات عميقة صبها الشاعر في صور شعرية تعكس البعض من تلك الدلالات .يقول في نفس القصيدة السابقة "علم بلادي":

علم بلادي أبيض ، أخضر فيه هلال ، نجم أحمر

فيه جمال المجد تجـلّى فيه الطيبة ،فيه الكوثر[24]

وبأسلوب عذب وصور شعرية متنوعة ومبسطة، ألقى الشاعر الضوء على ثورة الجزائر فتغنى ببطولاتها وتضحيات شهدائها الأبرار محاولا إبراز المكانة التي تحتلها هذه الثورة في نفوس وذاكرة الشعب الجزائري. يقول في قصيدة "العلم والوطن":

أحب الجزائر من كل قلبي وأهوى خريطتها الشاسعهْ

وأكتب عنها قصائد شعر وأمدح ثورتها الرّائعـهْ[25]

ويقول في قصيدة "علم بلادي": **علم بلادي رمز الثورهْ ثورة شعب لم يتقهقرْ**[26]

أما في قصيدة "وطني لن أرحل عنك" فيقول ممجدا الثورة وأبطالها: **سمح الخلاق أنا يا أبي وطني الأوراس ولن أرحلْ**

سأظـل أمجد كلّ دم من أجل بـلادي لم يبخلْ[27]

لما كان التاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلا صحيحا، بحيث يكون نبراسا وهاديا لهم في حاضرهم ومستقبلهم. فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيا بوجوده وتموت بانعدامه.

لقد اهتم الشعراء بالقضايا الوطنية كما اهتموا كذلك بالقضايا القومية والإنسانية فسعوا إلى تعميق الشعور القومي والانتماء العربي. فكانت القضية الفلسطينية هي القضية القومية الأولى بالنسبة للشعراء الجزائريين الذين كتبوا للأطفال، فحاولوا أن يعكسوا أحاسيسهم ومشاعرهم نحو هذه القضية في قصائدهم الموجهة للأطفال، بصور شعرية ومشاهد تعبيرية تجعل الطفل قريبا من حيثيات هذه القضية، وهذا ما حاول فعله شاعرنا ناصر معماش من خلال تطرقه لقصة الشهيد محمد جمال الدرة [28] فكان هذا الاسم عنوانا لقصيدة من أجمل القصائد الذي نظمها هذا الشاعر يقول في مطلعها مبرزا المكانة التي تحتلها فلسطين بين الدول العربية و أيضا مكانتها في قلوب العرب:

يا سيد الأوطان يا درة العـربْ
يا ملهم الفنـّان يا كاشف العجبْ[29]

بعدها يذهب الشاعر لوصف بطل قصته فيقول:

محمد صغير وبدره اكتملْ
وحلمه كبير كبير كالأمــلْ
رأيته يسير يسير في خجلْ[30]

ثم يصور لنا الشاعر لحظة استشهاد هذا البطل، فلم تكن إلا لحظات قلائل حتى أصبح هذا الطفل من عداد الشهداء فيقول:

وفجأة يطير ونجمه أفـل[31]

ثم حاول بعدها شاعرنا وعلى لسان الطفل الشهيد أن ينقل الطفل المتلقي من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة بصور شعرية قريبة من مدركاته وعوالمه، واصفا الحياة السعيدة التي يحياها الشهداء في الجنة بجوار ربهم ومع الأنبياء والرسل والصالحين يقول :

أمرح في الجنان كبلبل طليـق
إني مع الرّسـول يلامس يـدي
والشهدّاء حولي في جوّ أرغد[32]

أما في المقطع الأخير من هذه القصيدة أراد الشاعر أن يبعث برسالة إلى كل عربي مسلم غيور على فلسطين، يحثه فيها على مواصلة الكفاح سواء كان ذلك بالفعل أو بالكلام لتحقيق أمنية العرب المسلمين والشعب الفلسطيني باسترجاع حريته يقول :

أريدكم أبطالا في الفعل والكلام
فحققوا الأماني لوطن الحمــام[33]

من خلال هذه القصيدة وبالصور الشعرية المتنوعة الموظفة فيها استطاع شاعرنا أن يعرّف الطفل المتلقي بشخصية الطفل الشهيد (جمال الدّرة)، مبينا بعد ذلك السعادة والمكانة التي يحض بها الشهيد في الجنان فهو مع النبيين والشهداء بجوار ربهم.

ولكن الهدف الأساسي من وراء تنظيم الشاعر لهذه القصيدة هو التعريف بالقضية الفلسطينية تلك القضية القومية التي أسالت الكثير من الحبر. فعندما يتعرف الطفل على قضية فلسطين بشتى جوانبها منذ صغره، ترسخ في ذهنه قناعات مهمة منـها: إسلامية

أرض فلسطين، ووجوب تحريرها، وشرعية الجهاد لأجلها، والارتباط بهذه الأرض، وكل هذا ضروري في الصغر، كي تصبح القضية إحدا مشاغله وهمومه الأساسية.

4- المصدر الديني:

يشكل الدين جزءا مهما و منبع أساسي من المنابع التي يستمد منها الشاعر المعاني والأفكار التي يتغنى بها في إبداعاته ومصدرا مهما وأساسي من مصادر تشكيل صوره الشعرية في الأدب عامة وفي أدب الأطفال خاصة من أجل تقديم الغذاء الروحي والديني لهذه الفئة في صور شعرية إسلامية "تجسد حياة المسلمين وشعائرهم وعاداتهم وأوامر ربهم ونواهيه، وبطولات رجال المسلمين الأوائل، وسيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وكل القيم والأخلاق الإنسانية العامة التي تجسد الفضيلة وتقضي على الرذيلة"[34]. وبذلك يتم تجسيد الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين في الطفل وهو ما يجب أن تحمله مضامين هذا الأدب في صور شعرية تحمل في ثناياها مبادئ وأخلاق إسلامية.

ولقد كان للدين الأثر البارز والواضح في الأدب الموجه للأطفال في الجزائر، فقد اهتم الشعراء بتأصيل القيم الروحية والمبادئ والأخلاق الإسلامية في نفوس الأطفال، بصور شعرية مبسطة، وهذا ما هدف إليه شاعرنا ناصر معماش في بعض قصائده والتي تطرق من خلالها الى البعض من هذه القيم والمبادئ بتصور إسلامي وروح دينية سنية تشع من بين سطور كتاباته، محاولا توجيه الطفل إلى الطريق السليم في حياته وطريق العقيدة الصحيحة السمحاء، والتربية الصالحة والتمسك بقيمنا الدينية في ظل متغيرات العصر. وأفضل مرجع وأحسن دليل وأسما قدوة ومثال في حياينا وحياة أطفالنا هو الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسيرته وسيرة أصحابه العطرة، فهو المنارة التي يهتدى بها السائرون في ظلمات الجهل، فكانت أخلاقه قمة سامية ومعاملاته نبعا صافيا.

يقول "ناصر معماش" في قصيدة "معلم أحبه": **معلـــم أحبه كأنه رسـول**

إلى الهدى يدلني يفعل ما يقول[35]

فمن خلال هذه الصورة التشبيهية لفت انتباه الطفل إلى الرسالة التي بعث من أجلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهي هداية النـاس إلى الطريق الصحيحة، وكذلك الحث على حب رسول الله، فما أحوجنا إلى أن نعيد حب رسول الله إلى قلوبنا وقلوب أطفالـنا وذلك بمعرفتنا بسيرته وهديه في كل شؤون الحياة ، فهو مثال يحتذى به في كل شي، فكانت أخلاقه مثالا للفرد والجماعة، للصغير والكبير.

قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخـر وذكر الله كثيرا ﴾[36].ويكفي شرفا أن الله قد شهد له بعظمة أخلاقه فقال تعالى: ﴿ و إنّك لعلى خلق عظيم ﴾[37]. فالرسول هو قدوتنا وقدوة أطفالنا، والمثل الأعلى والأسمى في حياتنا.

كما دعا شاعرنا إلى التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها باعتبارها لغة القرآن، وتكتسب هذه الدعوة أهمية خاصة في أدب الأطفال، كما كان من وراء هذه الدعوة الحث على قراءة القرآن. يقول في قصيدة "لغتي":

لغتي أمـــاني تزهو على لساني

تفرح إن قرأتها في مصحف القرآن[38]

فالشاعر صور للطفل المتلقي اللغة على أنها إنسان تفرح إذا قرأها، محاولا تحبيب قراءة القرآن للطفل منذ الصغر، ليذوق طعم وحلاوة ومتعة تلاوة آيات الله، فكلما تعود الطفل على ذلك ، سهل عليه حفظه يقول الله تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرأن للذكر

فهل من مدكر ﴾[39] ويقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرغّبا في تعلمه لما في ذلك من خير عظيم :"خيركم من تعلم القرأن وعلمه" رواه البخاري. ويقول –صلى الله عليه وسلم–: "إقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القامة شفيعا لأصحابه" رواه البخاري.

لقد استطاع ناصر معماش بصورة شعرية بسيطة أن يبن للأطفال قدر وعظمة القرآن الكريم و فضله، فيحيي في نفوسهم ذلك حب القرآن والعناية به تلاوة وفهما وحفظا وعملا.

كما وظف شاعرنا الكثير من الصور الشعرية التي تدعوا الطفل إلى معرفة عظمة الله وذلك بتأمل عظمة مخلوقاته وما فيها من الدلالات على وحدانية الخالق وقدرته. يقول في قصيدة "الطفل الشاعر":

إنما الإنسان فن ماهر صاغه الخلّاق في شكل جميل[40]

فالإنسان من أعظم مخلوقات الله يقول الله تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم فتبارك الله رب العالمين ﴾[41]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾[42].

فالشاعر بهذه الصورة الشعرية وإضافة إلى الصور الأخرى الموزعة على جل ديوانه، أراد أن يلفت انتباه الطفل إلى التفكير في خلق الله وعجائب قدرة الخالق وآياته، ومن بين هذه الآيات آية خلق الإنسان التي يجب على الطفل المسلم أن يتأملها ويتدبر فيها لأنها تزيده إيمانا بربه وتقربه منه.

لم يكتفي شاعرنا في ديوانه من نشر الأسس العقدية فحسب، بل راح يغرس في المتلقي القيم الأخلاقية التي يدعوا إليها ديننا ومن بينها الأمانة. يقول في قصيدة "حفظ الأمانة":

أنا أنا أميـــن يحبني الجميع
سأحفظ الأمانة كحارس مطيع
وأكبر وفيّا جميلا كالربيع
يحبني الرّسول محمد الشفيع[43]

بصورة تشبيهية جميلة استطاع شاعرنا أن يصب فيها مبتغاه إلى الطفل كون الأمانة هي خلق من أخلاق الإسلام وأساس من أسسه. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بأداء الأمانات إلى أهلها في قوله: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾[44].

كما جعل الرسول –صلى الله عليه وسلم– الأمانة دليل على إيمان المرء، وحسن خلقه يقول: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" رواه أحمد. ويقول: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" رواه أبو داوود والترمذي.

أما في قصيدة "محمد جمال الدّرة" فقد حاول شاعرنا من خلال توظيفه صور شعرية في قالب نظمي جميل مؤثر ليصور تلك الحياة التي يعيشها الشهداء في الجنة في قوله:

لماذا لا تراني بثوبي الأنيق
أمرح في الجنان كبلبل طليق
إني مع الرسول يلامس يدي
والشهداء حولي في جوّ أرغد[45]

لقد ترك استشهاد الطفل الفلسطيني محمد الدّرة أثرا بارز في نفسية شاعرنا مما جعل هذا الأخير يفرد له قصيدة من قصائد ديوان، مبرزا من خلالها للطفل العربي المسلم بأن **الشهادة من أعظم الرتب عند الله وأعلاها وأنفس المقامات وأسماها، وذلك لما**

لأهلها عند الله من الأجر العظيم والثواب الجزيل والدرجة العالية والجنان الفسيحة، وهي من أفضل الأعمال الصالحة التي يمكن أن يختم بها العبد، قال تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾[46].

كما تناول شاعرنا في ديوانه العديد من القيم والمبادئ والأخلاق التي يدعوا إليها ديننا مثل: الحث على الصلاة في المساجد وتنظيم الوقت واستغلاله فيما ينفع، وصلة الرحم وغيرها والتي قدمها بأسلوب بسيط وصور شعرية جميلة قصد مساعدة الطفل المسلم على رسم خطوط حياته ومعاملاته في ظل المبادئ الإسلامية وفق كتاب الله تعالى ومنهج رسوله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والسلف الصالح.

خاتمة:

يقوم العمل الأدبي على مجموعة من العناصر التي تتألف فيما بينها لتشكّل في النهاية عملا أدبيا متميزا ومتكاملا، والصورة الشعرية أحد هذه العناصر التي يوليها الشاعر اهتماما وعناية بالغة، على اعتبار أنّها وسيلة أساسية في العمل الإبداعي، فهي تركيب لغوي يمكّن الشاعر من تصوير تجاربه في الحياة والتعبير عما يجول في نفسه من عواطف ومشاعر، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها وإيحاءاتها، لتقديم قيم فنية جمالية ومعرفية وأخرى معنوية تعجز اللغة العادية عن أدائها وإيصالها للمتلقي.

وأدب الأطفال لون من ألوان الأدب بعمومه، غير أنّ الكاتب لهذه الفئة الحساسة من المجتمع يجب أن يكون على دراية واسعة بعالم متلقيه الخاص، وأن يراعي مراحل نموه ومستواه المعرفي وانتقاء مصادر صوره، حتى يتوافق، ما يقدّمه من ألوان أدبية وصور شعرية، مع كل مرحلة من مراحل نمو الطفل، مستخدما في ذلك قاموسا لغويا يراعي فيه قدراته على الفهم.

يحمل أدب الطفل أهدافا متنوعة منها التعليمية والتربوية والدينية والترفيهية، ولكل منها دور حساس في تنمية قدرات الطفل والدفع به إلى الخلق والإبداع، ويسهم بصوره الشعرية وتنوع مصادرها، بشكل فعّال في تكوين شخصية الطفل من النواحي المعرفية والأخلاقية والتربوية.

إنّ الحديث عن شعر الأطفال عند ناصر معماش من خلال ديوانه "أناشيد العلم والأمل"، وتنوع صوره الشعرية ومصادرها؛ هو حديث عن المتعة اللغوية، والنشوة ولذة الخطاب، وحديث عن قيمّ ومعارف مختلفة، ذات أهمية في حياة الطفل ومستقبله، يعمل على غرسها وتثبيتها في نفسه وعقله، ويساهم في بناء وتكوين شخصيته وتوسيع مفاهيمه ومدركاته ومساعدته على التكيّف مع المجتمع الذي يعيش فيه.

الهوامش:

* القرآن الكريم.

[1] – جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الكتاب المصري(مصر)، 2003، ص: 7.

[2] – محمد غنيمي هلال: دراسات و نماذج في مذاهب الشعرو نقده، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (مصر)، 1984، ص:73.

[3] – أحمد نجيب: أدب الاطفال علم وفن، دار الفكر العربي (مصر)، 1991، ص: 99.

[4] – محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة (لبنان)، 1996، ص: 129.

[5] – ناصر معماش: ديوان أناشيد العلم والأمل، دار البدر (الجزائر)، 2004، ص: 6.

[6] – المصدر نفسه، ص: 7.

[7] – المصدر نفسه، ص: 23.

[8] – المصدر نفسه، ص: 15.

[9] – عبد النور جبور: المعجم الادبي، ص: 163.

[10] – المرجع نفسه، ص: ن.

[11] – العيد جلولي: النص الشعري الموجه للاطفال في الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (الجزائر)، 2008، ص: 242.

[12] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 13.

[13] – المصدر نفسه، ص: 11.

[14] – المصدر نفسه ، ص: 17.

[15] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 12.

[16] – المصدر نفسه، ص: 21..

[17] – المصدر نفسه ، ص: 23.

[18] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 29.

[19] – المصدر نفسه، ص: 19.

[20] – العيد جلولي: النص الشعري الموجه للاطفال في الجزائر، ص: 204.

[21] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 10 و 11.

[22] – المصدر نفسه، ص: 13.

[23] – المصدر نفسه، ص: 12.

[24] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 12.

[25] – المصدر نفسه، ص: 10.

[2626] – المصدر نفسه، ص: 12.

[27] – المصدر نفسه، ص: 13.

[28] * محمد الدرة هو طفل فلسطيني وقع شهيدا برصاص الجيش الصهيوني في قطاع غزة في الثلاثين من سبتمبر عام 2000، في اليوم الثاني من الانتفاضة الثانية للأقصى وسط أعمال شغب امتدت على نطاق واسع في جميع أنحاء الأراضي الفلسطينية.

[29] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 27.

[30] – المصدر نفسه، ص: ن.

[31] – المصدر نفسه، ص: ن.

[32] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم و الأمل، ص: 28 و 29.

[33] – المصدر نفسه، ص: 29.

[34] – إسماعيل عبد الفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، الدار العربية للكتاب (مصر)، 2000، ص: 108.

[35] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 7.

[36] – سورة الأحزاب، الأية: 21.

[37] – سورة القلم، الأية: 4.

[38] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 15.

[39] – سورة القمر، الأية: 17.

[40] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 8.

[41] – سورة غافر، الآية: 64.

[42] – سورة التين، الآية: 4.

[43] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 22.

[44] – سورة النساء، الآية: 58.

[45] – ناصر معماش: ديوان أناشيد للعلم والأمل، ص: 28 و 29.

[46] – سورة آل عمران، الآية: 169-171.